المحاضرة الخامسة و السادسة :

أسئلة الانطلاق :

من اهم التساؤلات المطروحة في هذا المحور نجد ما يلي :

1- لماذا سمي سؤال الانطلاق وماهي الدلالات المنهجية والمعرفية لذلك.

2- ما هي العلاقة بين سؤال الانطلاق واشكالية البحث.

3- ما علاقة سؤال الانطلاق بطبيعة موضوع البحث وهل سؤال الانطلاق هو الذي يؤسس لموضوع البحث ام العكس وكيف ندرس ذلك.

4- ما علاقة سؤال الانطلاق بفرضيات البحث الاجتماعي، انطلاقا من كون فرضيات البحث يجب ان تتوفر على جملة من الشروط العلمية والمنهجية منها:

+ الوضوح، الدقة، القدرة على التحليل والمتابعة و التنفيذ و الملائمة.

+ الابتعاد عن المفاهيم والمصطلحات الغامضة وغير المفهومة او ذات دلالات معرفية عديدة.

5- وما علاقة ذلك بإشكالية البحث.

الإشكالية في البحث الاجتماعية - الأهمية – الأسس - الاهداف.

من أهم المواقف الابستيمولوجية المهمة التي لاحظتها أثناء التدريس والتأطير تتمثل في الأساس في كيفية طرح الإشكالية البحثية ومقاربتها بالأهداف ضمن بناء سوسيولوجي واضح والمرجو تحقيقه(في اطار معرفي ومفهوماتي منهجي) ذلك أن أي دراسة تتطلب تحديدا للأهداف التي يعمل الباحث من خلال تصور معرفي معين في تحقيقها أي ملامستها للواقع وقد يظهر ذلك جزئيا ضمن العناصر المقترحة التي

تعتبر في نظري نتاج لقراءة سوسيولوجية واضحة الأبعاد والمقاصد، فكلما كان تحديدنا للإشكالية تحديدا منضما ومدققا ومحددا ضمن اليات ابستيمولوجية كلما فهمنا أكثر لكل من العناصر التالية:

- حدود الموضوع المدروس.
- المؤشرات التي نعمل من أجلها.
- ما ينتظر من القضية المقترحة للدراسة.

فقد يتجسد ذلك في نظرنا من خلال بناء فكري سوسيولوجي محدد، باعتبار أن الإشكالية البحثية قد توضح المعالم الأساسية السوسيولوجية للموضع لكنها تبقى في عموميتها باعتبار أن إدراك الحقيقة المعرفية هو ادراك نسبي قد يرتبط بمستوى الخيال السوسيولوجي للباحث من جهة ، والاطر المعرفية او الخلفية النظرية والفكرية التي اعتمد عليها الباحث من جهة أخرى.

وهذا ما يؤكده الكثير من الدارسين في حقل علم الاجتماع أن هناك شروط وظروف تحيط بالباحث من جهة وبالموضوع المدروس من جهة أخرى، بمعنى أن الظروف المحيطة بالباحث والتي تتمثل في مجموعة من القضايا منها:

*–الجانب الفكري (القراءات السوسيولوجية)

*–المستوى العلمي

*–الخبرة

*–الذكاء

*–القدرة على الملاحظة

*–معاينة المشكلة...إلخ .

إضافة الى ذلك العوامل الحيطة التي ترتبط بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية والظروف الأخرى، فخبرات الباحث الاجتماعي والتدريب الذي يسلكه في مجال البحث الاجتماعي الميداني المتخصص وتوفر المراجع والدراسات والإمكانات والاهتمامات والرغبة والقناعة والتطور الذي يشمل المجتمع الإنساني، كلها متغيرات ترتبط بموضوع الدراسة واختيار المشكلة، ومنه تحديد إشكالية البحث.

وهنا تطرح العديد من التساؤلات منها ما أهمية القراءات السوسيولوجية في اختيار الموضوع أو طرح الإشكالية؟ أو بمفهوم اخر هل الباحث قبل اختياره للموضوع المدروس وبناء القراءة الابستيمولوجية للموضوع يتطلب منه استشارة الاطار النظري لهذا التصور، بمعنى هل الإشكالية المقترحة هي جدلية لإشكالية أولية تستمد صدقيتها من الواقع الاجتماعي للمشكلة والباحث وفق ما أشار إليه عالم الاجتماع – جورج قرفتيش —George gruwitz إن موضوع علم الاجتماع هو الحقيقة الاجتماعية المأخوذة وبعمق من كل جوانبها: قاعدتها المورفولوجيا والجغرافيا والديموغرافيا مرورا بالبنى الفوقية للأفعال اليومية المتغيرة، وصولا إلى القيم و الأفكار الجمعية وأخيرا إلى العقلية الاجتماعية جماعية كانت أم فردية، بمعنى ان هناك ذهاب واياب مستمر ينسج خيوط الحقيقة الاجتماعية نفسها تكون في مجملها الظواهر الاجتماعية.

وهذا ما يشير اليه أيضا الكثير من الدارسين "كلما كان اختيار المشكلة اختيارا سليما ومنطقيا وموضوعيا كلما سهل للباحث من طرح إشكالية واضحة المبادئ والمفاهيم والمتغيرات باعتبار أن الدراسة كلها هي جهد فكري وعقلي وحسي مبذول بالأساس، قصد فهم وتفسير العلاقة المعرفية بين متغيرات الدراسة التي تتصف بعدم الثبات والانتقال والتأثير على بعض المسلمات المعرفية الأخرى (وهذا ما يرمز إليه البعض بالتنبؤ بمستقبل المشكلة).

ان اشكالية البحث الاجتماعي هي هيكل البحث وأساسه ومنطلقاته المعرفية والابستيمولوجية بما في ذلك الخيال السوسيولوجي للبحث، وقد نجد ذلك جليا عند –قاسطون باشلار– عندما يتحدث عن القطعية الابستيمولوجية ويظهر ذلك من خلال تفسيره لعملية الانتقال من المعرفة العامة الى المعرفة العلمية (العقل العامي والعقل العلمي) كيف بدأ وكيف انتهى وإلى أي حد وصل إليه التفكير الاجتماعي، وقد يتقارب ذلك مع ما جاء به – أوجست كونت – عندما شرح مفهوم الاتجاه الوضعي حيث يقول أن الفوضى التي يعيشها المجتمع هي فوضي عقلية، ولا يمكن فهمها إلا من خلال المدخلات العقلية، أي الترتيب في المعرفة الإنسانية (فهم المشكلة، إحداث تصور لها اقتراح بنيوي لها ضمن العلاقة بين المدلولات العقلية والواقع الاجتماعي، أي الخيال والواقع)، فهل المقصود هنا هو أولويات في المعرفة من حيث التأكد و التأثير ومطابقة الواقع الاجتماعي، أم أن المشكلة الاجتماعية هي مرتبطة بالأساس بطبيعة الفكر السوسيولوجي ضمن سيرورة تاريخية وما قدمه من فهم لعملية الانتقال هذا بين المشكلة كقضية والباحث والواقع الاجتماعي، بمعنى أن الإشكالية تصبح بمثابة حقيقة معرفية ابستيمولوجية تتحدد ماهيتها في ادراك أولي للمنطلقات الفكرية والواقعية للمشكلة المدروسة.

إن البحث الاجتماعي في كامل أجزائه هو محاولة الإجابة عن الإشكالية المطروحة، أي الإجابة عما يريده الباحث من وراء خياله ومرجعيته حول الموضوع أو ذلك، وقد نفهم هذه العملية ضمن حركة تفاعلية للخلفية الفكرية للباحث والموضوع المدروس.

إذا فان الإشكالية هي تعبير نقدي وواقعي متكامل لما يفكر فيه الباحث بعلاقة بكل المكونات الداخلية أو الخارجية سواء ما تعلق بالباحث أو بالموضوع المدروس وهذا ما يلومنا بالقول بأن إشكالية البحث هي:

- هوية الباحث
- إرادة الباحث (أي المسايرة والدراسة)

- المقاربة العلمية للباحث وما درسه
- الابتكار والذكاء للباحث (ولا يتم ذلك إلا من خلال ثقافة سوسيولوجية مستقلة)
- حيث أن عند اختيار الباحث الاي موضوع اجتماعي يطلب منه: ماذا تريد أن تدرس؟ وكيف ترى الموضوع؟ وكيف يمكن تحقيق ذلك؟ وما هي الأطر المرجعية التي من خلالها يستمد منها قوة الإقناع والموضوع.

فعلى الباحث الحرص على مراعاة الشروط المنطقية والبنيوية في بناء وصياغة إشكالية البحث ضمن سيرورة معرفية محددة، قد تظهر في المفاهيم والمتغيرات والفلسفة المتبعة والتصور الذي من خلاله يمكن تجسيد الخيال السوسيولوجي للباحث، باعتبار أن البحث هو عملية تفكيكية وتركيبية للموضوع، وهذا ما يراه بعض الدارسين في حقل علم الاجتماع أن الباحث الاجتماعي يجب عليه أن يعي بأن إشكالية البحث ليست مجرد مجموعة من الأسئلة يطرحها للدراسة بل هي إحساس وتحليل وإدراك للحقيقة الاجتماعية حيث أن تهدف إلى:

- ربط الموضوع بالميدان.
- تحديد مجالات الدراسة.
- تحديد الأبعاد الحقيقية للموضوع.
- فهم مناطق الغموض والعوائق التي قد تواجه الباحث.

فبداية حل المشكلة تتجسد بالأساس في إشكالية البحث، فكلما جاءت الإشكالية متناسقة الأبعاد ومتكاملة الأجزاء مقترحة لمرحلة متسلسلة للدراسة، كلما استطعنا من تحقيق هذا الحل، ويتجسد ذلك في نظرنا وفق العلاقة التكاملية بين ما يقترحه الباحث من أحداث وما يتصوره من خلال المرحلة الإشكالية ضمن قراءة سوسيولوجية محددة.